الدرس العاشر

تفسير سورة القلم [٤٢ : ٤٥]

{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)}

قوله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُون} [القلم:٤٢].

يوم: ظرف، والظرف له متعلق، فذهب ابن كثير إلى أن ذلك اليوم حين يكون: {لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيم} [القلم:٣٤] فبينما يكشف عن ساق ويلحق الكافرين كرب عظيم وشدة فالمتقون في جنات النعيم.

وقال بعض أهل العلم: بل متعلقة بـ(يأتوا)، في قوله: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ

إِن كَانُوا صَادِقِين} [القلم:٤١] أي أنهم يطالبون بأن يأتوا بشركائهم من دون الله تعالى {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ}، وكلاهما متوجه ولا تمانع بين المعنيين.

وقد اختلف المفسرون في معناها، فذهب ابن عباس ﷺ ومجاهد وسعيد بن جبير إلى أن المراد بالساق هنا الشدة والكرب، حتى إن ابن عباس قال: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر:

وقامَتِ الحَرْبُ بنا على ساقٍ.

وقال: حين يكشف الأمر، وتبدو الأعمال، وكشفه: دخول الآخرة وكشف الأمر عنه.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

وقال: هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.

وقال: هي أشد ساعة في يوم القيامة[1].

وذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود بالساق هنا صفة لله ﷻ، كما أن لله تعالى وجها كريما لا يشبه وجوه المخلوقين، وكما أن له يدان كريمتان لا تماثلان أيدي المخلوقين، فله ساق عظيم يليق بجلاله وعظمته، وظاهر الآية لا يدل على هذا لأن الله لم يضف الساق إلى نفسه كما أضاف اليد إلى نفسه كما في قوله: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك: ١]، أو الوجه إلى نفسه كما في قوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧]، فظاهر الآية لا يدل على أنها صفة.

لكن الذي يدل على ذلك حديث أبي سعيد ﷺمرفوعًا قال: « أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ »[2]، وفيه: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»[3]، فيكون الحديث مفسرا للآية.

ولا ينبغي للمؤمن أن يستشنع شيئا من آيات الصفات وأحاديثها، فالله ﷻ أعلم بنفسه وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه، وهو ﷻ ليس كمثله شيء، كما أن نبيه ﷺ أعلم بربه وأصدق قولا من سائر البشر وأفصح لسانا وأبين بيانا وأنصح للأمة، فلا يحل لأحد أن يرد ما نطق به من لا ينطق عن الهوى لمجرد شناعة استشنعها، فتكون الآية إذًا دالة على إثبات صفة الساق لله ﷻ، ولا يمنع أن يكون هذا الحال موافقا لكرب وشدة

[1] تفسير الطبري(٢٣/ ٥٥٤-٥٥٥).
[2] أخرجه البخاري – (٤٨٥١)، ومسلم- (٦٣٣)، متفق عليه.
[3] أخرجه البخاري- (٤٩١٩).

تعتري الناس في مواقف القيامة، فإن يوم القيامة يوم طويل وفيه من الأهوال والأحوال الجسام ما لا يحيط به وصف، فيكون هذا من أشد ما يبتلون به.

وقد حرر ابن القيم رحمه الله هذه المسألة، أعني مسألة دلالة الآية على صفة الساق في الصواعق المرسلة، فقال: والصحابة متنازعون في تفسير الآية، هل المراد الكشف عن الشدة أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه، ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الوضع، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله؛ لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه وإنما ذكره مجرد عن الإضافة منكرًا. والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل، وفيه: « فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهَّ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ »[1]، ومن حمل الآية على ذلك قال قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود مطابق لقوله فيكشف عن ساقه فيخرون له سجدا، وتنكيره، يعني الإتيان به بصيغة النكر عن ساق للتعظيم والتفخيم، كأنه قيل يكشف عن ساق عظيمة جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه.

قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال: كشفت الشدة عن القوم لا كشف عنها.

كما قال الله تعالى: {فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون} [الزخرف:٥٠]، وقال: {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ} [المؤمنون: ٧٥]، فالعذاب والشدة هو المكشوف

[1] أخرجه البخاري- (٧٤٣٩)، ومسلم- (١٨٣)، متفق عليه.

لا المكشوف عنه، وأيضا فهناك تحدث الشدة وتشتد ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا يدعون إلى السجود، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة. انتهى كلامه رحمه الله[1].

فالذي يتحصل إذًا أن هذه الآية مقرونةً بحديث أبي سعيد الخدري تدل على إثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به.

وقد ورد عدة قراءات في هذا اللفظ، والقراءة المشهورة {يَوْمَ يُكْشِفُ عَن سَاقٍ} وورد أيضًا: {يَوْمَ نكْشَفُ عَن سَاقٍ}، وورد بالتاء، تكشف، وورد قراءات أخر.

وفيها أيضًا ملمح إلى أن التكاليف لا تنقطع بالموت، وأن الدار الآخرة تتضمن تكاليف، تتضمن أوامر ونواهي، فالسجود عبادة ويؤمرون به فليس صوابا من أطلق القول أنه في الآخرة لا يوجد تكليف، فيكون الله تعالى أراد بذلك أن يظهر من عباده من كان يطيعه ويعبده إخلاصا له لا رياء فيه ولا سمعة، ومن كان يأبى ذلك ويستنكف عنه أو يفعل ذلك نفاقًا.

قال سبحانه: {فَلاَ يَسْتَطِيعُون} [القلم:٤٢] تعود ظهورهم كصياصي البقر، وكما عبر بعض العلماء: كأنما فيها سفافيد، والسفود: هو الحديدة أو السيخ الذي ينظم فيه اللحم، فكأنه ظهره شُكَ بسفود فلا يستطيع أن يحرك فقرات ظهره، فإذا هم أن يسجد تلقاء وجهه انقلب على قفاه، وهذا مناسب لحاله في الدنيا، ذاك المنافق الذي يتظاهر بخلاف ما هو عليه وباطنه خلاف ظاهره هكذا يجازى يوم القيامة، فيتحول سجوده إلى سجود عكسي فينقلب على قفاه والعياذ بالله.

{وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُون}، وليس هذا من التكليف بما لا يطاق؛ لأن الله تعالى أراد أن يظهر خزيهم بهذا، فلا يدخل في مسألة العجز لعذر، فالله ﷻ قد عذر من لا

[1] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة - (١/ ٢٥٢).

يستطيع أن يصلي قائما أن يصلي جالسا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، فهذا غير داخل في هذه المسألة.

قال النبي ﷺ: « صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ »[1]، وإنما ركبهم الله تعالى على هذه الصفة يوم القيامة ليظهر خزيهم ويكون جزاءهم من جنس عملهم في الدنيا.

{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ} خاشعة بمعنى خاضعة، والبصر يعبر عما في القلب، بل الوجه كله يعبر عما في القلب وأشد مواضع التعبير من الوجه العينان، ولهذا قال الله ﷻ عن الكفار يوم القيامة: {يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى:٤٥]، وذلك لما يعتريهم من الرعب والرهبة والخوف مما هم مقبلون عليه، فقال ها هنا: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} أي تعتريهم مذلة وخزي وعار، وأي عار وأي مذلة وشنار أشد من ذلك الموقف حينما يوقفون على حقيقة حالهم وكفرهم بالله رب العالمين المستحق للعبادة دونما سواه.

وتأمل في قوله: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم:٤٣]، هذه مقابلة! في الدنيا كانوا يتمتعون بالصحة والعافية والقدرة على فعل الطاعات وترك المحرمات لكنهم كانوا مستكبرين مستنكفين، واليوم بدل الاستكبار ذلة، وبدل التباهي والتفاخر خضوع وخشوع، وقد كانوا سالمين وهم الآن خلاف ذلك، فهذه مقابلة عجيبة بين حالهم في الدنيا وحالهم في الآخرة. السجود من أعظم مظاهر العبودية حينما يضع الإنسان أشرف ما فيه وهو وجهه وجبهته على الأرض، فالسجود عبادة عظيمة، ولا صلاة بغير سجود، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ: (أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْزَلَهُمُ الْمَسْجِدَ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِمْ فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لاَ يُحْشَرُوا وَلاَ

[1] أخرجه البخاري- (١١١٧).

يُعْشَرُوا وَلاَ يُجَبُّوا. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم: "لَكُمْ أَنْ لاَ تُحْشَرُوا وَلاَ تُعْشَرُوا وَلاَ خَيْرَ فِى دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ")[1].

وفي هذا إشعار للمؤمن بأن عليه أن يغتنم صحته ونشاطه وشبابه قبل أن يحال بينه وبين ذلك حتى في الدنيا قبل الآخرة، « اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ »[2]، وقال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»[3].

فالعاقل هو الذي يغتنم فرصة التمكن فيستكثر من العمل الصالح ويزيد من رصيده فيما يفرح به يوم القيامة، أما أولئك فقد عكسوا القضية وتركوا العمل وهم سالمون حتى أُظهر لهم حاجتهم وافتقارهم إلى العمل لما حيل بينهم وبينه، فقال تعالى: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ}.

وبعد هذه الصورة البئيسة التي ذكرها الله ﷻ عن حال هؤلاء قال ﷻ: فذرني، وما أعظم هذه الجملة!، كيف يقول الجبار ﷻ {فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ} [القلم:٤٤] كأنما يقول خلِّ بيني وبينه، اترك أمره إلي، أنا أتولاه، فهي عبارة تهديد ووعيد، لو صدرت من أحد سلاطين الدنيا وجبابرتها لكان لها وقع، فكيف إذا صدرت من الله ﷻ؟! كما قال في المدثر: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا} [المدثر:١١-١٢] وهنا

[1] أخرجه أحمد- (١٧٩١٣)، وأبو داود- (٣٠٢٨).
[2] أخرجه النسائي في الكبرى- (١١٨٣٢) و الحاكم- (٧٨٤٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
[3] أخرجه الترمذي- (٢٣٠٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

يقول: {فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ} وقد ذكر في أول السورة المكذبين بالقرآن العظيم القائلين عنه (أساطير الأولين)،فأعاد ذكر تكذبيهم وتوعدهم قائلًا: {فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ} المراد بالحديث القرآن العظيم.

ومن أسماء القرآن الحديث، ولا شك أن الله تحدث به، وقال سبحانه عنه: {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُون} [الأنبياء:٢] لأن الله يتكلم متى شاء كيف شاء، فهو سبحانه تكلم بالقرآن العظيم حيث اقتضت حكمته ومشيئته.

{ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون} [القلم:٤٤] الاستدراج كما وصفه بعد ذلك من حيث لا يعلمون نوع من المكر ونوع من الكيد، استزلال لهذا الكافر شيئا فشيئا، فيخيل إليه أنه على شيء فيكتشف فجأة أنه ليس على شيء، وأن أمره ذهب سدى وانهار دفعة واحدة، فالاستدراج يكون بأن يمهل الله للظالم والكافر والفاسق والفاجر والمشرك حتى يأخذه على حين غرة.

وقد جاء في الحديث: « إِنَّ اللهَّ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢] »[1]، ومن تأمل فيما جرى في سابق العصور وفي الأقوام الذين خالفوا أنبياءهم وفي مجريات الأحداث المعاصرة يجد هذه السنة الربانية، يتبجح الظالم ويرى لنفسه السيطرة والاستطالة ويقول: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى} [غافر: ٢٩]، ثم يأتيه الله تعالى من حيث لم يحتسب.

ففرعون على سبيل المثال بلغ به الحال أن يقول: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات:

[1] أخرجه البخاري- (٤٦٨٦)، ومسلم- (٢٥٨٣). متفق عليه.

٢٤]، وأن يقول لقومه: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨]، ويقول لموسى: {لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [الشعراء: ٢٩]، هكذا يبلغ الغدر والعجب والزهو بالإنسان حينما ينسى حقيقة العبودية إزاء حقيقة الألوهية يأتي بهذه العجائب والمضحكات، وقال: {وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُون * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِين} [الزخرف:٥١] فماذا كان شأنه؟ أغرقه الله في الماء الذي كان يتمدح به وأن الأنهار تجري من تحته، أهلكه الله وأغرقه في اليم.

وعلى المؤمن أن يتفطن لنفسه، فإن كان يقع منه ظلم الآخرين فليعلم أن تمكين الله له بهذا لا يعني أنه بمنأى ومنجى ومعزل عن العقوبة، فإنه يمهل له، والظلم مرتعه وخيم، من يظلم من تحت يده من زوج أو ولد أو أجير أو غير ذلك فلا يظن أن قدرته عليه هذه تعني استباحة حقه والتمادي فيه، ليعلم أن الله ﷻ يمهل لكنه لا يهمل.

وكذلك من يظلم نفسه بالإسراف بالمعاصي والذنوب، قد يأتيه الله على حين غرة كما أخبر الله ﷻ عن أهل القرى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُون* أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُون * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون} [الأعراف:٩٧-٩٩].

فالذي ينبغي للمؤمن أن يكون على وجل وأن ينشأ في قلبه ورع وتخوف وتحرج وتحوط من الظلم، فإن الظلم مرتعه وخيم، والظلم ظلمات يوم القيامة.

{وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين}، في الآية إثبات صفة الكيد لله تعالى، فقد وصف نفسه بالكيد والمكر والمخادعة والاستهزاء في آيات صريحات، فقال ﷻ: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا *

وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق:١٥-١٦]، وقال: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين} [الأنفال:٣٠]، {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون} [النمل:٥٠]، يستهزؤون: {اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٥]، {يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢]، وقال: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد: ١٣].

فالواجب إثبات ما أثبت الرب لنفسه في كتابه أو أثبته له نبيه ﷺ على الوجه اللائق به، لكن هذه الصفات من الصفات المتقابلة التي تنقسم مدلولاتها إلى محمود ومذموم، فالكيد نوعان، كيد محمود وكيد مذموم، والمكر نوعان مكر محمود ومكر مذموم، والخداع نوعان والاستهزاء نوعان، والمحْل كذلك.

الكيد والمكر يدلان على إيصال العقوبة بطريقة خفية، فإن كانت العقوبة تصل إلى مستحق فهو محمود، وإذا كانت تصل إلى غير مستحق فهو مذموم، مثال ذلك: لو أن رجلا محتالا، احتال علي الناس ومكر بهم وجمع أموالهم وأغراهم بأنه يريد أن يتاجر بها وأطمعهم بالأرباح ثم فر بها، فهذا نسميه ماكرا ونسمي عمله مكرا، نسميه كائدا ونسمي عمله كيدا، لكنه مذموم، لأنه أوصل الأذى والضرر إلى الآخرين بطريق خفي بغير حق.

فلو انتدب له رجل من رجال الأمن، من الشرطة الجنائية واستدرجه واتصل به وقال لدي مبلغ وأحب أن أتجر به وأغراه حتى استطاع أن ويقبض عليه ويودعه السجن، فهذا مكر وكيد وخداع لكنه محمود لأنه وصل إلى مستحقه.

فالذي يُثبت لله تعالى من هذه الأوصاف ما كان محمودا؛ لأن الله له صفات الكمال،

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

لا يتطرق إليه النقص بشكل من الأشكال، فنجد أن الله يقول: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون} [النمل:٥٠]، {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا} فيجعلها على سبيل المقابلة.

ولا يجوز أن يشتق منها أسماء حسنى فلا يقال من أسمائه الماكر، من أسمائه الكائد، من أسمائه المخادع، من أسمائه المستهزئ، لأنها توهم معنى فاسدا، فلما كانت يمكن أن توهم معنى فاسدا لم يشتق منها أسماء حسنى، بل ولا يخبر عن الله بها إلا على سبيل التقييد، فيقال: يخادع المخادعين، يستهزئ بالمستهزئين، يكيد بالكائدين، يمكر بالماكرين تعظيما لجناب الرب وتنزيها له عن صفات النقص والعيب ومماثلة المخلوقين.

{إِنَّ كَيْدِي مَتِين} أي شديد، بخلاف كيد الناس وأحابيلهم فإنه ينكشف ويتعرى ويكون واهنا، لكن كيد الله متين، فإنه يحكم ﷻ الوقيعة بأعدائه حتى يتجرعوا مرارتها ويصلوا إلى أسوأ حال.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله